

الفلسفة واليومي عند الغرب وفي الفكر العربي المعاصر؛ فتحي التريكي نموذجا

*Philosophy and daily life in the West and Contemporary Arab Thought; Fathi Triki as a Model.*عبد الجليل جعفاري^{1*}، سايح حمادي²¹ جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم (الجزائر)، abdeljalil.djafari@etu.univ-mosta.dz² جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم (الجزائر)، sayeh.hammadi@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/29 تاريخ القبول: 2025/02/28 تاريخ النشر: 2025/04/12

ملخص: إن البحث في الفلسفة واليومي داخل التفكير الإنساني هو محاولة لفهم معاني كامنة داخل ذلك الواضح المتكرر، وفي هذا السياق فإن الإنطلاقة لهذا الموضوع بدأت مع بدايات الفلسفة أي مع الفلاسفة الأوائل في محاولة تفسيرهم للوجود من خلال معايشة الواقع وكذا مع الفلسفة السقراطية والسوفسطائية وصولا إلى الفلسفة الحديثة والمعاصرة، لتحكي الراهن من خلال البحث في مواضيع متنوعة: علمية، أخلاقية، إجتماعية، فنية. أي نزول الفلسفة من المتعالي والمجرد لتساير حياة الإنسان بهوموم ومعاناته وأفراحه وتغيراته. ومن هذا السياق يحاول المفكر فتحي التريكي البحث في قضايا الفلسفة واليومي داخل الفكر العربي المعاصر من خلال مواضيع متعددة على شكلة، الهوية، الصراع، التنوع، فلسفة الفعل، للبحث عن المعاني الكامنة داخل هذه المواضيع في الواقع المعيش. يصل فتحي التريكي إلى بناء تفكير نقدي ومساءلة للقضايا اليومية والفلسفية من خلال ما سماه بالفلسفة المفتوحة، بعيدا عن التفكير المتعالي أو النسقي، بل ما يعايشه الإنسان في يومه لمعالجة قضاياها .

كلمات مفتاحية: الفلسفة، التنوع، الهوية، الأخلاق، الصراع، الإعتراف، الآخر، الذات، العالم، الإنسان، الفن، التقنية.

Abstract: Investigating philosophy and daily life within human thought is an attempt to comprehend the implicit meanings of recurring daily events. In this context, the starting point of this topic traces back to the beginnings of philosophy, namely with the First philosophers who sought to explain existence through engagement with life, as well as Socratic and sophistic philosophy up to modern and contemporary philosophy, to simulate the present through researching various scientific, ethical, social and artistic topics. In other words, philosophy descends from transcendence and abstract to engage with human life, concerns, suffering, joys, and alterations. On this basis, the thinker Fathi Triki attempts to investigate philosophy and daily life issues in contemporary Arab thought through various topics such as identity, conflict, diversity, and philosophy of action to search for implicit meanings within these topics in daily life.

Through what he terms “open philosophy”, Fathi Triki establishes critical thinking and inquiry into daily life and philosophical issues away from transcendent or systemic thinking, but rather through engaging with humans’ life to address their concerns.

Keywords: Philosophy, Diversity, Identity, Ethics, Conflict, Recognition, The other, The self, The world, Human, Art, Technology.

1. مقدمة:

إذا عالجتنا مسألة الفلسفة واليومي فنحن أمام مجال فلسفي يهتم بالأنشطة والخبرات اليومية نزولا إلى المعيش، بعيدا عن القضايا الميتافيزيقية، هذا المجال يسعى إلى معايشة الإنسان في همومه، وتفسير حياته، مجاورا لما هو واضح، مسيرا لما هو عادي : كالتجوال في الشوارع، العمل، الجلوس في المقاهي، الفن، التكنولوجيا، الأخلاق، الطب، البيولوجيا كونها مواضيعا للبحث الفلسفي.

لعل فلسفة اليومي تنطلق منذ الفلاسفة الطبيعيين في محاولتهم تفسير المبدأ الأول للكون وصولا إلى الفلسفة المعاصرة أو الآني والراهن، فالفيلسوف هو متأمل في شتى المواضيع والإشكاليات محاولا تشخيص وفحص الحياة لإستخلاص النتائج من خلال التجارب والملاحظات، إن الإنسان اليوم في المرحلة المعاصرة أضحي يعيش معاني التشيؤ والإغتراب كما تطرق لذلك الطرح الماركسي وما أدلى به الفيلسوف أكسل هونيث أحد ممثلي مدرسة فرانكفورت في جيلها الثالث، وكان هذا نتاجا للتطور الهائل الذي شهده العالم فيما هو راهن في شتى المجالات، وخصوصا في المجال العلمي، وهنا أضحي هذا الأخير عاملا في القلق اليومي كما تطرق لذلك مارتن هيدغر مؤثرا على إنسانيته سائرا نحو التشيؤ، مما دفع بالإنسان ليقف متسائلا لعل ما يلزمه يكون أقرب للفهم، متسائلا ما السبيل لفهم الواقع لينزل عن برجه العاجي ليتأمل مما يحيط به ويلزمه في الفضاء العمومي وفي العالم المعيش، أو بالأحرى لما لا نزل الفلسفة لتساير الإنسان في حياته اليومية، ومن هنا نتساءل : هل يمكن للفلسفة أن تعالج قضايا اليومي بعيدا عن الميتافيزيقي ؟، وهل يؤثر ذلك على صرامتها بوصفها تفكيراً متميزاً ؟ وكيف عالج الفكر العربي المعاصر مسألة الفلسفة واليومي ؟.

2. تجليات الفلسفة داخل اليومي :

إذا ذهبنا نحو الفلسفة وما يتعلق بنظامها كونها باحثة عن المطلقية وعن الحقيقة، فنجد التفكيكية مع دريدا والوجودية مع هيدغر ومن خلال تحطيم الأنساق مع فريدريك نيتشه، هذا الإنزياح الفلسفي عن ما كان متعاليا مسيرا ما هو واقعي " عندما نتحدث عن ضرورة التفلسف فإننا نعني بذلك إرساء مباد تعلم كل الفضائل النظرية والعملية "¹ فمن هنا أضحت الفلسفة تبحث عن معاني للحياة في شتى المواضيع حتى ما ظهر منها واضحا جليا للإنسان مسيرة هموم المعيش لتنتج تناغما فكريا يجعل مناحي حياة الإنسان تحمل ذوقا في خضم اليوم وإشكالاته، وفي هذا السياق سنحاول وصل ما هو يومي ليساير التفكير الفلسفي أي كيف لليومي أن يحمل معان ودلالات فلسفية ؟ وما السبيل للفكر لينطلق من كل ما هو متنوع ومختلف في الفضاء المعيش ؟

إن الخوض في مصطلح اليومي أي إلى كلمة " اليوم " ومالها من إلتصاق بما هو متعدد ومتكرر ليسير ضمن مجال المعيش، وهو ما يشير إليه لفظ (quotidien) في اللسان الفرنسي، وفي اللسان

الإنجليزي (daily) على سبيل المثال لا الحصر "لقد أصبحنا اليوم كلنا نتوجه إلى اليومي لمعرفة ومساءلته وإستخراج معانيه، لأنه يحمل في ذاته مجموعة هائلة من الأفكار والمقاصد التي ضلت مختفية وراء الأعمال والممارسات العادية المختلفة"² إن فحصنا لكلمة يومي وفي محاولة فك أغواره يتبين لنا بأن ماهو يومي هو ما يجول من أفكار في حياة الإنسان اليومية بعيدا عن إن كانت تتسم بالإيجابية أو السلبية، فهي مختلف العلاقات الي تصل الإنسان بيومه من تذكّر، خيال، إبداع، فن، موسيقى، أفراح، معاناة، مشاعر، إحساسات، أي شتى العلائق المختلفة التي تربط فكر الإنسان بيومه، وهذا ما جعل الفلاسفة يعودون لليومي لفك أغواره، ومن هنا أصبح لزاماً أن يساير ويحاكي هذا الأخير الواقع على مختلف تشكيلاته وتنوعه، ليحيل إلى محاولة تغيير كل ماهو سائد داخل عمق الحياة اليومية، ويتجلى هذا في الحوار الذي يحمل دلالات، وكذا الفن الذي يحمل تصورات، وكذا العلم وما يصبوا إليه من تطور بشتى المجالات، فالمعاني هنا تقترب مما هو أنطولوجي لتساير ماهو إبسيملوجي لتصل إلى ماهو أكسيولوجي.

إن محاولة الإنسان التأمل في المعيش واليومي وإن كان هذا هو المنهج الذي تستخدمه الفلسفة لشرح الدلالات التي تساير الناس في حياتهم، وإذا حاولنا تحديد ذلك اليومي لعله المتصف بالواضح والبديهي أي المتكرر الذي لا يحتاج إلى تعمق في فهمه، ولعل مايكون بديهيًا وواضحاً قد يكون أكثر خطورة وصعوبة في محاولة الإنسان لفهمه من خلال إتصاله المتكرر به، لربما يجوز بنا الاعتقاد بأن ذلك اليومي قد ينطلق مما هو خاص بحياتنا أو من خلال تلك الدائرة القريبة منا التي يمكن حصرها في مجال معين، ومن هنا نجعل من اليومي على أن يكون به بعض اللامكتمل ومحاولة إكماله أو الإمام به كان لابد من ضم مختلف تجارب الآخرين إلى تجاربنا الخاصة علنا ندرك معانيه وهذا لا يتأتى إلا من خلال محاكاة الواقع والولوج لمختلف المعارف التي تواكب راهن هذا الإنسان المأزوم، عله يجد بعض الإجابات لما يجول حول حياته اليومية التي يشخصها بتلك البدهاة والوضوح المعهودين .

إن محاولة مواكبة الراهن من خلال التفكير الفلسفي قد يعود بنا إلى اللحظة السقراطية التي جعلت من الفلسفة تجول في الأسواق وتداري هموم الإنسان، ولعل بالمقابل المدرسة السوفسطائية التي كانت تعلم الخطابة، مرورا بالفلسفة الأفلاطونية التي قسمت العالم إلى عالمين المفارق المتمثل في عالم المثل وهو الذي تتحقق فيه الحقيقة المثالية الحقبة أي عالم الحقائق المطلقة و العالم الحسي وهو عالم الزيف أي عالم الدوكسا - الظن - فالمعيش اليومي هو الراهن الذي نعيشه الذي يبدو أمامنا، فيحيل أفلاطون أنه لابد من تجاوز عالم الواقع لأنه عبارة عن زيف وبالمقابل يجب التوق إلى ما هو مثالي متعاليا عما هو واضح وبديهي، ومن هنا لابد للتفكير الفلسفي أن يمر بفلسفات تجعل من المعيش و اليومي موضوعا للفلسفة بمعنى خاص وهذا يتمثل في الفلسفة الألمانية من خلال فريدريك نيتشه، إدموند هوسرل، مارتن هيدغر، والفلسفة الفرنسية مع هنري لوفيفر، ميشال دو سارتو، وفي الفكر العربي من خلال فتحي التريكي، فإذا ذهبنا نحو الفكر العربي كما سبق ذكره مع فتحي التريكي فيقول بأن اليومي هو

" كل ما يحيط بي وأدركه حالا ومن دون واسطة ليصبح قريبا مني وحاضرا في ذهني حضورا مستقرا " ³ كما يختصر كذلك مفهوم اليومي بقوله " اليومي هو كل ما يحدث يوما بعد يوم ويتجدد " ⁴ فتلك الحركية التي يدركها الإنسان بشكل واضح، وذلك التكرار و مايجعل الوقائع تأخذ معنى اليومي والمعيش، وفي ظل هذا التحليل لابد من التساؤل كيف يمكن للفلسفة بإعتبارها نمط متميز من التفكير أو فن إبتكار المفاهيم كما يشير الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز أن تخوض غمار وتبحث في معاني هذا اليومي وتحاكيه بدون أن تتنازل عن قيمتها المعرفية المتميزة بالتعالى والترانسندنتالية كما تحيل إلى ذلك الفلسفة الكانطية ؟، وهل يمكنها النزول من برجها العاجي لتساير ماهو ملازم للإنسان ومحادث له ؟، وكيف عالج الفكر العربي المعاصر أسئلة الفلسفة واليومي ؟.

إذا حاولنا السير تجاه ما أدلى به المفكر التونسي فتحي التريكي، إذ يعتبر أن الأنطولوجيا هي ماتكون قاعدة وأساس للوغوس أو بالأحرى العقل، وذلك مايشير إليه في كتابه " العقل والحرية " ومن هنا يشير لنا بالعودة للفلسفة اليونانية وخاصة في مايخص الفلاسفة الطبيعيين، من خلال الوجودي بارمينيدس الذي يحيل إلى أن الوجود والعقل شيء واحد أو هما نفس الشيء، إنطلاقا من إعتباره أن اليومي هو حركة، فهل يمكن لهذه الحركية وهذا التغيير أن يؤثر على ماهو أنطولوجي ؟

ومن خلال هذا نتجه نحو المدرسة السوفسطائية من خلال دورها البارز في التفكير الفلسفي في الفلسفة اليونانية، فسير التفكير الفلسفي نحو التعدد والتنوع كان من خلال تلك المدرسة، إلا أنها لم تنصف إذ قبولت بالإجحاف واهتمت بتزييف الحقائق والتلاعب بالألفاظ، لكن من خلال المنحى الآخر لها فقد كان لها حضور من خلال إشارتها إلى المعيش، فهي تدلي بأنه لابد من فهم الواقع ومابه من حركية وتغيرات في شتى المواضيع لنتمكن من الحديث عن ماهو معاش أو بمعنى آخر ماهو يومي، ومن هنا فالمدرسة السوفسطائية هي مدرسة تهتم بنقد الواقع، وتحلل الواقع بشكل نسبي، بإعتبار أن الإنسان مقياس كل شيء كما أشار بروتاغوراس، وإذا إتجهنا نحو الفيلسوف الألماني مارتن هيدغر، فهو يحيل إلى العودة للفلاسفة الطبيعيين الذين حاولوا فهم العالم من خلال الإنتقال من الوجود إلى الموجود، وهذا مايشير له في كتاب " الكينونة والزمان " إذ يقول في خضم هذا أن هذا التساؤل قد أضى اليوم في طي النسيان، فهذا السؤال إنما يعبر عن معنى الكينونة التي تعتبر من القواعد التي أسست للتفكير الفلسفي الغربي، وبالمقابل نقد المغالطات التي طالت التفكير الفلسفي التي تصل الوجود بالتفكير، أو بالأحرى تتجه نحو ماهو ميتافيزيقي، ومن هنا إتجه الفلاسفة نحو إعادة بث الإختلاف داخل التفكير الفلسفي ولعل مارتن هيدغر قد حاول التفكير في إعادة بعث التفكير الفلسفي ليساير ماهو يومي بضرورة الخوض فيما هو واضح وجلي في الحياة اليومية أو بالأحرى في الفضاء المعيش.

ثم إذا إنتقلنا إلى ماهو الكيف الذي من خلاله يغدو ذلك اليومي وما يحمله من معاني وتنوع في ذلك الواضح والعادي ؟ هنا تتدخل النزعة الظاهرية (الفينومينولوجية) إن دورها يتمثل في " تأسيس

نظرية عامة لليومي لفهم صيرورته⁵، ومن هنا يمكن كذلك الإحالة لما أدلى به الفيلسوف الفرنسي بول ريكور في قوله "معناستهدف العالم كطبيعة مشتركة"⁶، ومن هنا يمكننا القول بأنه يشير لفكرة "العيش سويًا" والتي قد تنطرق لها بإنتقالنا للفيلسوف الألماني إدموند هوسرل، والتي يشير لها في كتابه "أزمة العلوم الأوروبية" وفي هذا السياق يشير لأزمة المعنى التي طرأت على مختلف العلوم الحديثة بمختلف أنواعها الإنسانية والاجتماعية والطبيعية،، وهنا كانت محاولة لتجاوز تلك الأزمة التي أملت بالكثير من العلوم، من خلال عودة النزعة الفينومينولوجية "لعالم المعيش" فتذهب نحو أساس أن "الطبيعة الجسمية التي يعرفها كل شخص في الحياة اليومية"⁷، كما أنه يشير في خضم حديثه عن عالم المعيش بقوله في هذا السياق "والعالم المعطى دائما مسبقا الذي له دائما ومسبقا صلاحية كونه كائنا"⁸ فالجماعة سواء أو الفرد يشكلون فيما بينهم تواجدا في خضم العالم المعيش الذي يضم الجميع، ومن هنا يدخل هذا الكل في العالم والذي يبني على المشاركة في الحياة لتكون هذه المشاركة أساسا للوعي بالحياة، فالنزعة الفينومينولوجية تسير نحو إضفاء معنى لليومي أو بالأحرى العالم المعيش أو الحياة اليومية، ويمكن كذلك الإشارة إلى الفلسفة الفرنسية مع جون فرانسوا ليوتار الذي يقول بأنها تعتبر "دراسة الظواهر المتجلية لأول وهلة، أمام الوعي والمقدمة كما هي قصد تحليلها وتتبع خصائصها، من خلال ما يعرف بقاعدة التوجه نحو الأشياء نفسها بعيدا عن الأحكام الذاتية أو النظرة المسبقة التي من شأنها أن تحول دون بلوغ حقيقة الأشياء"⁹.

وإذا حاولنا مماسيق بالتعريف الذي خصته النزعة الفينومينولوجية، فإن هذا يحيلنا حول مبدأ القصدية (L' intentionnalité)، وفي هذا السياق نشير إلى أن الأشياء تصبح هي المقصودة، فالذات تتجه نحو الموضوع لتشعر به هذا حسب الفلسفة الهوسرلية أما بالمقابل نجد الوجودية الهيدغرية فتجعل الموضوع ينحو نحو الذات، كما أن القصدية تقوم على تعليق الحكم (الإبوخيه)، ضحض مختلف الأحكام السابقة التي تعمل على عدم إظهار الواقع، ثم تحاول أن تظهر معرفة شاملة بالعالم والإنسان غير مقيدة بما سبق لها من أحكام، وهذا مانجده أيضا مع الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت صاحب مقولة "الكوجيتو"، لكي يصل الإنسان إلى المعرفة الحقيقية فلا بد له أن يقف ولو مرة واحدة في حياته ليفهم القواعد الثابتة للمعرفة، ومن هنا نعود للنزعة الفينومينولوجية التي تقوم على الإنسان وصلته بالعالم وفي هذا المنحى أو السياق يمكن القول "أن تجد المسافة المطلوبة والدقيقة دون نقص ولا زيادة عن اليومي والعادي وأن تتوقف للتأمل"¹⁰، فيمكن القول هنا أن الفلسفة لا تغدو زيفا أو بعيدة عن الواقع وماهو يومي أو بمعنى آخر لا تتعالى نحو ماهو ميتافيزيقي، فالنزعة الفينومينولوجية تقترب من الفلسفة السقراطية أو حتى السوفسطائية في النظر للمعيش.

وفي خضم ها السياق فالفلسفة في تشخيصها للموضوع الخاصة باليومي والمعيش تنحو نحو التنوع والاختلاف، أو بما أدلى به المفكر التونسي فتحي التريكي إحترام اليومي بوصفه ممارسة في الواقع، فالنزعة الفينومينولوجية مجال خصب لتحليل معاني الحياة، إذا ما حاولنا فهم المعيش بمنهجها، ومن

هنا فالسبيل لفهم لفضاء المعيش هو الإقرار بالتنوع الحاصل على مستوى اليومي والذي يبدو متكررا وواضحا.

إن فلسفة الحياة اليومية تحاول فهم هموم الإنسان ببحثها عن معاني في الحياة تظهر على أنها بسيطة وواضحة، فالیومي قد أسس قواعده على التنوع كما أدلى بذلك فتحي التريكي، وقد كان ذلك مع الفلسفة السوفسطائية في قولها بأن الإنسان مقياس كل شيء، ومع الإنسان الأسمى حسب فريدريك نيتشه، ومع مارتن هيدغر في الوجود هنا أو الوجود في العالم "الدازين"، أي البحث عن المعنى الكامن في الوجود، على مختلف مناحيه وتنوع أشكاله للظفر بمعنى للبيديي والواضح في الحياة.

3. في نقد اليومي – الإنتقال من التجريد إلى الفعل :

إذا ذهبنا صوب الفلسفة الفرنسية مع هنري لوفيفر إذ يعتبر ممن أرسى أسس وقواعد فلسفة اليومي من خلال كتابه نقد الحياة اليومية (*critique de la vie quotidienne*)، فهو يرى أن الفلسفة لا تحول نحو التجريد والبحث في المتافيزيقي من خلال تأملها في المواضيع والأشياء، بل هي رجة لكل متداول ونقد لكل واضح، ونمط معيشي يلزم الإنسان، ومن هنا ينقل الفلسفة إلى مجال الفعل ويصبوا بها صوب النقد " ليس فقط لمعرفة الحياة اليومية، ولكن أيضا من أجل معرفة وسائل تغييرها"¹¹، من خلال القراءات يمكن تشخيص تأثير التفكير الماركسي على المسار الذي ينحو نحوه هنري لوفيفر، لأن الفلسفة حسب التوجه الماركسي محاولة لتغيير العالم وليس خوضها فقط فيما هو تنظير، ومن هنا ينحو هنري لوفيفر ويستمد محاولته في الإنتقال إلى الفعل، ليكسب الفلسفة ذلك المزيج الراقى والتميز في التفكير، للسير نحو إحداث نقد داخل الحياة اليومية بمختلف تشكلاتها ورغم ظهورها بشكل البيديي والواضح إلا أنه يحاول إستخراج المعنى من ذلك المتكرر الذي يطبع اليومي.

وبتوجهنا نحو الفكر الماركسي إننا نجد أنه يمازج بين ماهو مجرد وتطبيقي أي بين ماهو نظري وعملي، ومن ثم فهو محاولة نقد للواقع، من خلال محاولة تغيير السائد في الحياة اليومية، فالماركسية توجه نقدي تجاه ماهو قائم على مستوى الفعل، فالماركسية جاءت محررة الفرد من الظلم الإجتماعي الذي كان سائدا تجاه الطبقة العمالية (البروليتاريا)، فيمكن طرح السؤال على لسان هنري لوفيفر، لماذا يتم نقد التفكير الرأسمالي؟ وما المغزى من النقد الإجتماعي للبرجوازية؟.

فلو ذهبنا نحو مفهوم الإغتراب الذي إهتم به الفكر الماركسي، فإن ذلك أصبح من الماضي، "فالنقطة الهامة التي يجب أن ننتبه إليها هنا هي أن الماركسية نتاج لوضعية العمل في المجتمعات الغربية في تلك الفترة. يعني أنها جاءت لتسد فراغا نظريا يتمثل في محاولة فهم هذه الوضعية تحديد العلاقات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية الناتجة عنها"¹²، بحيث أن الفلسفة منذ القديم هي محاولة للتجديد والتغيير من خلال فلسفة الفلاسفة أو من خلال معالجة المواضيع باستعمال آليات منهجية تتمثل في كل

من التساؤل، التحليل، النقد، أو الأشكلة، المفهمة، البرهنة، مايجعل التفكير الفلسفي خصبا ينحو نحو التغيير والتجديد.

إن الفيلسوف الفرنسي هنري لوفيفر يحاول إنتقاد التفكير الفلسفي من جهة بعده عن الفعل وتعاليه عن الواقع، بحيث لايتفق مع الصورة النمطية للفيلسوف المشتغل بما هو مجرد وميتافيزيقي بعيدا عما هو واقعي، وكما يشير الفيلسوف الفرنسي ميشال دو سارتو أن " وصف بعض الممارسات (القراءة، التعبير، المشي، السكن، الطبخ، إلخ) التي تعتبر هامة، توسيع التحليل لهذه العمليات اليومية على المجالات العلمية التي يحكمها منطق آخر "¹³ فبما أن العلوم تسير الراهن بتغييراته فمن ناحية الفلسفة لابد لها أن تتماشى مع التجديد والتغيير الذي يحكم العالم ومن هنا فإرتباطها باليومي يضفي عليها تلك الحركية التي تشخص الواقع بهوموم وتساير الإنسان في تساؤلاته، ومن هنا فعلى الفيلسوف أن يشارك في تحليل ونقد الواقع اليومي داخل المجتمع.

4. الفلسفة الغربية الحديثة وحدود اليومي:

يذهب الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت نحو إنتقاد السائد في الحياة اليومية من خلال دحض الوصاية الكنسية والسائد في المجتمع، وجاء ذلك في مقولة الكوجيتو (أنا أفكر إذن أنا موجود)، والتي تدعو الإنسان إلى التفكير والشك ولو مرة واحدة في حياته، حتى يحاول تحليل ما تمده به المحسوسات من معارف وعلاقتها بإدراكه للواقع، وهنا تبرز مكانة العقل بإعتباره ملكة تساهم في تقصي الواقع، ومن هنا فهذه محاولة نقدية للفكر الفلسفي المدرسي السكولائي بإعتباره مجردا، والسير نحو تحليل الواقع الإجتماعي بالنزول إلى الفعل مقابل التأمل والتجريد، مثلما كان يمارسه الفلاسفة الطبيعيين في اليونان، حيث كانت بدايات الفلسفة تقترب من الممارسة، أو بمعنى آخر محاولة الإنسان فهم الطبيعة.

كما أن الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط صاحب شعار " الأنوار"، رغم مثالية الكانطية إلا أنها جددت في الواقع من خلال سؤال : ما الأنوار ؟ ويدي في هذا الصدد بأنه "إنعتاق المرء من حالة العجز الذاتي، العجز هو عدم قدرة المرء على إستخدام فهمه الخاص دون توجيه الآخر"¹⁴، وفي هذا السياق يدعو كانط الإنسان إلى إستعمال العقل في مختلف القضايا والمواضيع التي تواجهه في اليومي، وعدم الرضوخ لسلطة الكنيسة متمثلة في رجال الدين، ومن هنا فشعار الأنوار " تحل بالشجاعة لإستخدام عقلك "¹⁵، فهذه العبارة التي كانت بمثابة ثورة في العالم الغربي معلنة قيام العلوم في مختلف المجالات وهذا من خلال نقد السائد، ومشاركة الفيلسوف آلام المجتمع سواء من خلال فصل الكنيسة عن الحياة العملية، بإستعمال ملكة العقل التي تقوم بتفحص الواقع وتحليله ونقده.

إن السبيل الذي سلكه كارل ماركس متجها نحو نقده للرأسمالي، ناشدا للعدالة والمساواة في الوسط الإجتماعي، كان على عكس الفلسفة الألمانية التي إتجه لها فريدريك هيغل من خلال مثاليته مقابل المادية الماركسية، التي حاولت السعي إلى إبراز مخاطر الرأسمالية على المجتمع وعلى أفرادها من

خلال العيش في الإغتراب، وهو ما يشير إليه بأن " نظام الملكية الخاصة في المجتمعات الرأسمالية يحول الإنسان العامل إلى سلعة، فهو يفقد حريته وذاته وسيطرته على عمله، ويصبح عمله غريبا عنه وذاته غريبة عنه "16، فيذهب كارل ماركس إلى أن محاولة تجاوز هذا الإغتراب الذي يعيشه الفرد لابد له من الإنتقال من الملكية الخاصة إلى الملكية الجماعية، أو بمعنى آخر من الإقتصاد الرأسمالي الذي تسيره الطبقة البورجوازية للإقتصاد الإشتراكي الذي تسيره الطبقة العمالية، ومن خلال هذا التحليل يجدر بنا القول بأن الفلسفة الماركسية كانت ناقدة لليومي الذي كان مسلوبا من خلال الطبقة البرجوازية متمثلة في النظام الإقتصادي الرأسمالي، الذي ينتج التفاوت و اللامساواة والتفرقة بين الطبقة العاملة والطبقة البورجوازية التي تتحكم في الحياة المادية للأفراد من خلال إحتكار وسلب حقوق وجهد الأفراد بمقابل مادي لا يوفر مايسد به الفرد حاجياته ومستلزماته الحياتية، وفي هذا السياق سيزيد الفارق بين الطبقتين مما يؤدي للتفاوت الإجتماعي، ومن هنا فالماركسية تسيّر نحو نقد اليومي بنقدها للنظام الرأسمالي الذي يزدري الطبقة العاملة ويسلب جانبها الإنساني، وقد نادى بذلك العمال (البروليتاريا) إلى الثورة على الإقتصاد الرأسمالي، وبناء المجتمع على أسس النظام الإقتصادي الإشتراكي الذي يقيم العدالة بين الأفراد ويزيل التفاوت الطبقي ليحقق المساواة.

5. الفلسفة الغربية المعاصرة وسؤال اليومي:

إن إتجاه الفلسفة الوجودية من خلال الفلسفة الفرنسية متمثلة في أفكار جون بول سارتر، إذ تعتبر الإنسان ذاتا حرة يقوم بأفعاله بكامل حريته دون تدخل الأشياء أو الآخر فيه، ويقوم بالإختيار بكامل إرادته، ومن هنا فالإنسان مشروع حياة حسب الفلسفة الوجودية وحسب السارترية.

إن الفرد هو مركز داخل الفلسفة الوجودية، إذ تجاوزت ما هو مجرد لترتبط بحياة الإنسان اليومية من خلال التفرقة بين وجود الإنسان ووجود الأشياء في العالم، فالإنسان يوجد ثم يحاول بناء ما يكون عليه أي أن وجوده يسبق ماهيته، بمقابل الأشياء التي يسبق وجودها ماهيتها، لأن الشيء قبل أن يوجد لابد أن تعرف ماهيته أو الغرض من وجوده، لكن الإنسان له كامل الحرية والإرادة الحرة في إختيار ماهيته التي يكون عليها أي " نعني أن الإنسان يوجد أولا، ثم يتعرف على نفسه، يحتك بالعالم الخارجي، فتكون له صفات، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده "17، ومن هنا فوجود الإنسان سابق لماهيته لأنه يوجد ثم يختار ما يكون عليه بإرادته الحرة ومن تم عليه أن يتحمل نتائج إختياره لأنه مسؤول عن ذلك، ومن هنا تعد الفلسفة الوجودية قريبة من الإنسان في محاولته لفهم اليومي، لكن سرعان ما تبتعد عن الواقع بإبتعادها عن معالجة القضايا الواقعية التي تسير الإنسان في حياته.

6. فلسفة اليومي كبديل للتفكير الميتافيزيقي:

إن التفكير في اليومي قائم على نقد ما هو مثالي بعيد عن الحياة الواقعية التي تتسم بالفعل، فهو يتجاوز النزعات المثالية القائمة على المجرد، إنما يهتم بالوجود الإنساني ومشاركته للآخرين داخل العالم، وفي إرتباطه بالفلسفة باعتبارها محبة الحكمة فإن " الحكمة إذن كانت طريقة عيش تقدم السلام العقلي (أتراكسيا Ataraxis)، والحرية الداخلية (أوتاركييا Autarkeia) والوعي الكوني، كانت الفلسفة أولاً وقبل كل شيء، تقدم نفسها كـ " علاج " لشقاء الجنس البشري ¹⁸ فالبدايات المثالية كانت مع الفلسفة اليونانية من خلال سقراط وتلميذه أفلاطون، فهذا الأخير قسم العالم إلى قسمين العالم الواقعي النسبي الذي يشوبه التغير وعالم المثل الذي يتسم بالكمال، فالموجودات في العالم الواقعي ما هي إلى صور عن ما هي موجودة عليه في عالم المثل وهو عالم مفارق ولا يمكن إدراكها بالمحسوسات كما في العالم الحسي، من حيث هي معقولات وأفكار عليا، وهي الصور الأولية والأصل للموجودات التي وجدت في العالم الحسي. كما أن العقلانية الديكارتية والشك المنهجي، قد رسمت معالم الطريق للفلسفات التي تأتي بعدها على سبيل المثال الكانطية، مبرزة أن فهم الوجود وأساسه هو التفكير، فالعالم لدى ديكارت ما هو إلا الصور والأفكار العقلية مقابل ما تقدمه الحواس من معرفة زائفة، أي أن التفكير إمتداد في مقابل الحواس والجسد.

وفي محاولة المزج بين ما هو مادي وما هو مثالي، تشير الفلسفة الألمانية من خلال الكانطية أن الصور الذهنية ما هي إلا ما قامت الحواس بنقله عن الواقع، أي أن المواضيع في العالم هي ما قامت بطبعه الحواس لتنتج صورة ذهنية لفهم الواقع، أما الفلسفية المثالية الهيجيلية التي تعتبر الكوني نتيجة أفعال الإنسان الحرة، فغاية الإنسان هي بلوغ الكوني من خلال ما هو خفي أو مثالي متعال عن الواقع فيقول: " إن عظماء التاريخ هم من يدركون ما هو الكوني " ¹⁹، من هنا فإن الاختلاف بين المثالية القديمة والحديثة أن الأولى كانت بعيدة عن المحسوس متعالية، أما الثانية فهي ترتبط بالعالم وتسائر الواقع قريبة من اليومي محاولة معالجة هموم الإنسان داخل العالم، من خلال ذلك المتكرر الذي يبدو واضحاً بإستخراج المعاني الكامنة في أغواره.

7. علاقة اليومي بالمعرفة العلمية:

بعد أن شهدت مختلف العلوم انفصالها عن الفلسفة في القرن 17 م، إلا أنها على إختلاف توجهاتها ومناحيها فلا يمكن أن تنفصل كلياً عن التفكير الفلسفي لإعتباره تفكيراً نقدياً يساهم في التطور العلمي بشتى مناحيه، ولعل فلسفة العلوم هي ما تبحث في العلاقة بين ما هو علمي وفلسفي، إن العالم يسير نحو التطور المتسارع في شتى المجالات ومختلف المواضيع، وهذا التطور يلحقه تغيير على جميع النواحي وفي مختلف المستويات، إن هذه الحركية ساهمت في تسهيل حياة الإنسان مما يحقق له من جودة الحياة، وفي

ظل هذا السياق كان لابد من التطور التقني الذي إختصر الكثير على الفرد الإنساني وعلى المجتمعات، إلا أن التسارع التقني وماله من فوائد قد يحمل في طياته العديد من السلبيات التي تؤثر على الحياة البشرية. وفي هذا السياق نجد علاقة التقنية بالبيولوجيا وما أحدثته على المستوى الباثولوجي من خلال التلاعب بالجينات سواء الإنسانية أو الحيوانية، وماينجر عن هذا من تدخل على المستوى الإنساني بمحاولة إنتاج بشر بمواصفات خاصة لتحقيق مآرب تسعى لها منظمات وشركات تجارية فعلى سبيل المثال هناك محاولات لتشيء الإنسان من خلال تجارب على الأعضاء، وبنوك الحيوانات المنوية، التدخل في عمليات الإخصاب، وهذا يؤدي إلى إنتهاك لقدسية الجسد الإنساني " ليس من شك في أن أرسطو هو أول من أعطى صبغة النسق للفكر الإيطيقي الأخلاقي بمبادئه العامة التي تهم الممارسة الإنسانية، وقد طورها الفرابي ليجعل من الإيطيقا جودة الروية وإستنباط الأشياء التي هي أجود وإصلاح ليحصل بها الإنسان خيرا عظيما في الحقيقة وغاية شريفة فاضلة " ²⁰ إن هذه التغيرات ستعصف بالمستوى الأخلاقي الذي يهدد المجتمعات والوجود البشري.

كما أن تدخل الإنسان على مستوى المادة الجامدة أي الجانب المادي الفيزيائي على مستوى الطبيعة بإستعمال الجانب التقني لمحاولة السيطرة على الطبيعة قد يؤدي إلى إختلال في المستوى الكوني، فالتفاعلات الكيميائية التي إخترعها الإنسان قد أحدثت تغيرات سواء إيجابية أو سلبية على الطبيعة، وهذا يعني غياب التنبؤ ودخول مجال الصدفة والمفاجأة سواء في عالم التناهي في الصغر أي ما تحت المجهر أو على مستوى الظواهر الطبيعية أي عالم التناهي في الكبر.

في خضم هذا السياق أصبح يعيش الإنسان مرتقبا للتغيرات على مستوى الطبيعة، إن هذه المحاولات شكلت قراءات علمية مختلفة عما كانت عنه في الماضي، إن محاولة الإنسان التحكم في التقنية وهو بذلك يطمح للتدخل على مستوى الطبيعة سيساهم في تغيير الإنسان وبالتالي تغيير إدراكه وتصوراتة العلمية وإنتقالها لمستوى تقني قد يتدخل في مسائل إنسانية وإجتماعية ليحاول تحليلها بنوع من التكميم، مثلما يتعامل مع الأشياء والموضوعات أو العلوم الطبيعية والفيزيائية.

إن محاولة الإنسان إستخدام العلم بما يتماشى ومصالحه، من أجل الدفع بالعالم والفرد نحو التطور فهذا المسار قد يؤدي إلى سبل إيجابية وأخرى سلبية تعود على من قام بالتدخل على مستوى النظام الذي يحكم الطبيعة أو الإنسان داخل الكون، وقد أشار لهذا العديد من الفلاسفة والعلماء بالتساؤل : ما الفائدة من العلوم إذا كانت تنزع الجانب الأخلاقي ؟، وأما النتائج التي قد تتحقق إذا إنتزعت الإنسانية من البحث العلمي ؟، ومن هنا كان لابد من الحكمة في التدخل العلمي والتكنولوجي على مستوى المجتمعات والأفراد، فالتطور والتسارع العلمي والتكنولوجي والحرية اللامحدودة داخل هذه المجالات قد يؤدي إلى نتائج سلبية إضافة إلى ما حققته من نتائج إيجابية.

إن التفكير المعاصر يشيد بأهمية العلم في تطور العالم، وجودة حياة الإنسان ليس من خلال الإنتقال الذي يشهده الجانب المادي، وإنما حتى على مستوى ما هو إنساني وإجتماعي وذلك في خضم التسارع الذي أنتجته التقنية في مختلف مناحي الحياة وبشتى أشكالها، ومن خلال هذا المزيج بين ما هو مجرد أي نظري وما هو تطبيقي أي عملي، أي بين النظرية والفعل "لابد من التمييز بين الإيطيقا العامة التي تفرض تفكيراً عاماً على الإنسان وعن نمط حياته وبين الأخلاقيات المطبقة التي تتخذ شكلاً مغايراً كلما إلتحمت بميدان معين"²¹ فالرهان هنا قائم على ما ينتجه العلم المعاصر في جميع المواضيع بالرغم من الجانب السلبي الذي قد يسيئ ويضر الإنسان ويحدث تغييراً على مستوى الطبيعة، لكن من ناحية أخرى هناك مكاسب تعود على الإنسان والعالم المعيش، وإذا حاولنا التنصل مما هو تقني وتكنولوجي أو بشكل عام علمي، فإننا أمام التوجه نحو عزلة أو إغتراب بالمفهوم الماركسي تجاه المعيش، ومن خلال هذا يمكن التساؤل إن كانت للتقنية نتائج سلبية ؟ أم أن كيفية إستعمال الإنسان لما هو تقني هو ما يحدث تغييراً على مستوى النتائج ؟.

وفي تحليلنا للسياق السابق لابد من تدخل الجانب العقلاني للإنسان سواء في استخدامه للتقنية أو من خلال توظيفها في المواضيع العلمية، لكن الجانب العقلاني لا يجب أن ينفك عن ما هو إنساني وأخلاقي لكي لا يتم تجريد العلم من القيم التي تجتمع عليها مختلف المجتمعات بمختلف توجهاتها، وفي هذا التوجه لابد من الحكمة في استعمال التقنية في الجانب العلمي وذلك بتدخل التفكير الفلسفي الذي يدرس المواضيع ويبحث في المعاني الكامنة في الأشياء أو الموضوعات بإعتباره نمط متميز من التفكير يساهم في عقلنة المواضيع وإضفاء الجانب ألقيمي عليها، لكي لا تخرج عن المسار المنوط بها لخدمة الإنسان والعالم.

8. فينومينولوجيا اليومي أو حضور الفلسفة باليومي :

إن محاولة البحث في المعاني التي تؤسس لليومي ومختلف الأشكال والمواضيع التي تحركه، لابد له من آليات وتفكير يحاول تحليل ما هو متكرر داخل هذا الراهن " ففينومينولوجيا عالم الحياة اليومية قد تصبوا إلى تأسيس نظرية عامة لليومي لفهم صيرورته التأسيسية فتقترب بذلك من تناول الأنطولوجي وقد تحاول تحليل الظواهر اليومية تحليلاً عينياً جغرافياً من خلال قواعدها وتقنياتها المعهودة²² ومن هنا فالتفكير الفلسفي هو الذي يقوم بفحص حيثيات اليومي، فالمتكرر والواضح لابد أن يصبح ظاهرياً، والظواهرية كفلسفة تحاول فهم المعيش ضمن المقاربة الفينومينولوجية حسب رائدها الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل، فالببحث داخل المعيش هو نتاج السياق اليومي للإنسان إذ لابد له من محاكاة لكي يتم توجيهه، ومن هنا فالفينومينولوجي أو بمعنى آخر الفيلسوف هو من يقوم بتشخيصه لفهم راهنيته، وهذا ما نجده كذلك في الفكر العربي من خلال المفكر التونسي فتحي التريكي الذي يتناول هكذا مواضيع من

خلال كتبه منها كتاب "فلسفة الحياة اليومية" إذ يشير أن الفلسفة لم تعد بهجة أو حديث صالونات، إنما الفلسفة هي فحص للواقع الإنساني ومعايشتها له في شتى المواضيع. ومما سبق فالفلسفة تسعى لدحض السائد وفي الوقت نفسه إلى تحكيم العقلانية، لتجاوز المرحلتين التي أدلى بها الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت أي المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية سيرا نحو المرحلة الوضعية (العلمية)، ومن هنا فالفلسفة تقترب في الراهن مما هو وضعي، لتساير العلم في تطوره، وفي هذا السياق فالحضور الفلسفي هو حضور فعلي، حتى وإن كان غائبا فالغياب نوع من أنواع الحضور، ومن هنا فالفيلسوف حاضر لمعالجة مواضيع اليومية بشكل أو بآخر، لأن التساؤل من أولى مهام الفلسفة ولا يخلوا حديث فلسفي من التساؤل.

إذا اتجهنا نحو الفلسفة الألمانية وبوجه الخصوص مع الفينومينولوجية الهوسرلية، فيشير إلى أن الفيلسوف لا بد له أن يلم بالواقع المعيش، لأن هذا من أولى مهام التفكير الفلسفي عبر التاريخ " فإن ما نتعلمه من هوسرل هو أن العلم والتقنية لا يغنيان عن الفلسفة، بل يجعلان وجودها أكثر ضرورة لتجاوز أزمة المعنى والتوجه التي تطبع العالم الراهن ولتجنب السقوط في البربرية"²³ ومن هنا تظهر مهمة الفلسفة الأصيلة في تحليل الواقع، من خلال اتصالها بالعلم وقضايا الراهن وفي هذا السياق " يجب على الفلسفة أن تبقى وفية لمعناها الأصلي، الذي يفرض عليها أن تضع الأسلوب العلمي، التقني موضع سؤال"²⁴ فهذا الموقف الذي أخذ به إدموند هوسرل والذي يحيل إلى المهمة الأساسية للفلسفة أي التساؤل، ومن هنا نتجه نحو فلسفة الفعل أو البراكسيس (praxis)، لمحاكاة فلسفة اليومية.

9. الفكر العربي المعاصر وأسئلة اليومية؛ فتحي التركي نموذجا:

9-1 التنوع كشكل من أشكال اليومية :

إن محاولة تحليل الفكر العربي وإتصاله بما هو يومي، على إختلاف معتقداته وتصوراته سواء من الناحية العلمية، النفسية، الإجتماعية، الدينية، السياسية، الفنية، وبالتالي تعدد الرؤية في كامل أقطار العالم العربي، يحيل إلى الممارسات التي تظهر داخل كل ثقافة في سياق لفهم المجتمع بشكل عام ولفهم الأفراد بصفة خاصة باعتبار أنها ذوات تشكل هذه الأمة، ومن هنا يدعو فتحي التركي إلى الإستقلال الفكري متجاوزا التقليد ليعتمد في هذا على ما سماه فلسفة التنوع "التي تقوم على هدم المعجزة اليونانية وتهافت فكرة الغرب الضامن للكونية، طالما أن علاقة التأثير والتأثر معروفة في دراسة العلاقة بين المفكرين المنتمين إلى حضارات مختلفة"²⁵ فالقومية العربية تحاول جاهدة الاتجاه نحو العودة والتجاوز كما أشار المفكر التونسي فتحي التركي في كتابه فلسفة التنوع.

إن النهضة في العالم العربي لا بد لها من أخذ التجارب من الأمم الأخرى والتواصل معها، وبصفة خاصة بالتفكير الفلسفي الذي كان سائدا بها والذي كان سببا في تقدم هذا حضارات وإحداثها نهضة

شاملة في شتى المجالات من خلال فهم ما هو يومي بمختلف تشكيلاته، ومن هنا يقارب المفكر فتحي التريكي المعيش و الأفكار الخاصة بالفلسفة السوفسطائية، التي تنادي بأن الإنسان مقياس كل شيء على لسان برتاغوراس، وكفلسفة جاورت الفيلسوف الذي خاض في قضايا المعيش سقراط وتلميذه أفلاطون، ومنعى آخر من خلال ابن خلدون الذي حاول تشخيص الوضع الاجتماعي الإنساني، وصولاً إلى الماركسية وما قامت به من تحليل لطبقة إجتماعية تحاول تجاوز السائد داخل المجتمع من خلال نقد النظام الرأسمالي.

2-9 الفلسفة الشريدة وتمثلاتها في اليومي :

إن تجاوز الفلسفة كل دوغمائية تحاول أن تقيم سلطة على التفكير، ومن هنا فهي تحاول إستقلال الإنسان بنمط فكري متميز عن ما هو سائد داخل المجتمعات، إن إبتعاد الفلسفة عن التفكير النسقي والمذهبي وقيام المدارس الكبرى، وسيرها نحو ما هو متنوع إذ أصبحت تعايش حياة الإنسان اليومية بشتى أشكالها ومعانيها ودلالاتها وأبعادها، سواء من الناحية العلمية أو إجتماعية أو الإنسانية أو الفنية، صار لزاماً على الفلسفة أن تتخذ الفضاء العمومي ملاذاً لها.

إن سير الفلسفة نحو تحليل المعاني الكامنة في المعيش اليومي، لا يلغي صرامتها ولا يعني أنها تخلت عن مهمتها " أصبحت الفلسفة في تشردها تتصل بالحياة، وتجعل من الحياة إرادة، ومن الإرادة قوة ... أصبحت تتصل بالناس، وتنصت إلى مشاكلهم، وتحاول فهم طرق حياتهم ... " ²⁶ ربما لا يمكن جعل من الفلسفة علمية، خاصة وأن العلم في الراهن أصبح يحمل مناحي وإتجاهات من خلال التسارع القائم الذي يفضي إلى تطور الإنسان من جهة والتسلط على الآخر من جهة أخرى، إذ له جانبين سلبي وإيجابي فالإختلاف العلمي والنظريات الفيزيائية والبيولوجية التي تأخذ أهداف علمية وأخرى إيديولوجية، لا بد له من جانب عقلائي يحكم توجيهه بأسئلة عميقة.

فالفلسفة الشريدة لها إتصال باليومي حسب المفكر فتحي التريكي، فقد تجاوزت الفلسفة الخطابات والأنساق لتحكي الإنسان داخل تلك المواضيع المتكررة في اليومي في النواحي السياسية والإجتماعية والممارسات الفنية وأنماط العيش الظاهرة من خلاله.

إن الدعوة إلى التفكير الحر والإبداع والإختلاف في التوجه والآراء، والتعبير عن الذات من خلال الشعور الإنساني والمجتمعي، لأن التفلسف كتفكير يسير نحو النقد وليس إتجاه التوجهات المشتركة في التفكير، ومن هنا يحاول فتحي التريكي أن يشير أن الفلسفة أصبحت بلا موضوع يحكمها وهذا من خلال ما سماه ب "الفلسفة الشريدة"، من خلال عبور العديد من الثقافات والشعوب على أرضها، فهذا التشرد يعني به الإتصال بالإنسان من خلال مشاركته حياته، معيشه، آلامه، معاناته، أفراحه، نجاحاته، لتحاول تشخيص المعارف التي تحيل إلى معاني، فالفلسفة دائمة السفر والتنقل حسب فتحي التريكي.

إن مشاركة الفلسفة لمختلف العلوم والفنون وتدخلها في جميع المواضيع جعل لها سمة خاصة تنفرد بها عن جميع الصناعات الأخرى، كما تشير لها العرب، ونجد هذا عند جيل دولوز بتعريفها بفن صناعة المفاهيم.

مما سبق يحاول فتحي التريكي إضفاء مقومات للفلسفة بجعلها تبحث في مختلف معاني المعيش اليومي، محاولة السير نحو ما سماه الفلسفة المفتوحة، التي تسير السياقات اليومية سياسيا وتاريخيا واجتماعيا وإنسانيا.

3-9 الهوية ورهانات الحياة اليومية :

إن التفكير الفلسفي بوصفه نمطا متميزا من التفكير يحاول الخوض في مختلف المواضيع ومن هنا نشير إلى التوجه الذي أشار إليه المفكر فتحي التريكي حول "جدلية التجاوز والعودة إلى الماضي"، ومن خلال طرح الفكر العربي المعاصر للعديد من الأسئلة المركزية من أجل إحداث نهضة واعتراف داخل العالم من خلال أسئلة عديدة كسؤال النحن، الذات والآخر، العيش سويا، العولمة، الاختلاف، ومن هنا نحاول تحليل ما أدلى به فتحي التريكي أو ما يسميه بـ "الهوية والهوية البديلة"، وفي هذا الصدد هناك محاولة لفهم النحن والآخر والعلاقة الإعرافية تواصلًا أو صراعًا من أجل تحقيق الحضور الوجودي داخل العالم وصولًا نحو الكوني، وفي خضم هذا السياق نتساءل: هل يمكن الإعراف بالآخر رغم إختلافه؟، وهل يمكن التعايش مع الآخر في ظل الصراع العالمي؟

إذا كان الفيلسوف هو الشخص لقضايا وإشكالات الإنسانية اليومية، فلا بد له من تحليل الهويات المتفاعلة داخل العالم اتصالًا أو صراعًا " فإن ما ذهب إليه أرسطو من تحليل عميق لمعاني الهوية والاختلاف والتماثل والصراع والذات والآخر مازال فاعلا إلى اليوم في هذا العصر الذي جعل من هذه القضايا هموما يومية وقضايا راهنة لا تقض مضجع الفيلسوف فحسب بل وتحير رجل السياسة والأخلاق أيضا²⁷ وهذا ضمن تحولات المعيش اليوم الذي يعيش معاناة وقلقا وجوديا حسب السياق الهيدغري.

ومن هنا فالذات العربية تحمل حمولة تاريخية تتصف بما مضى من قوة على المستوى العلي والمادي والاجتماعي، وتحاول راهنا أن تستعيد تلك النهضة لإعادة بحث التطور والتفوق الحضاري، ضمن أسئلة : هل يمكن التواصل مع الآخر دون تأثر سلبي؟، وهل يمكن لهيمنة الآخر الإعراف بالاختلاف الثقافي، الديني، السياسي والاجتماعي؟.

إن البحث الفلسفي حول مشكلات الاختلاف، الإنتماء، التنوع، التشارك، التعايش، يحيل إلى تحليل إشكالية الهوية في العالم العربي والإسلامي، من خلال الإتصال بالغرب تأثيرا وتأثرا، ومن هنا فإن ربط النهضة بما هو غربي والإعتقاد بأن الغرب هو الشكل المثالي للحدثة فلا تكون إلا به، قد يجعل من المخيال أو التصور الذي تبديه الدول النامية تجاه ما هو حديث ونهضوي مقيد بإمكانات الغرب، ومن هنا

كان لزاماً السير حول طرح ينحو تجاه الانفصال لتحقيق هوية بديلة تحاول تأسيس نهضة بإمكانات الماضي لكن مع تجاوز يتماشى مع الراهن الذي يعيشه الإنسان المغربي والعربي والإسلامي داخل العالم. إن هذا الخطاب الفكري إما أن يقام على طرح من الحوار والتواصل والإعتراف بالآخر أو من خلال إغتراب تجاه العالم لتشكيل وجهة مختلفة، ومن هنا فحسب فتحي التريكي لابد من حداثة تكمن في جدلية التجاوز والعودة إلى الماضي بعقلانية، أي نكون حدثيين إذا فكرنا باختلاف عن أجدادنا وآباءنا، وهو ما يفضي لإقامة الحداثة ويتجاوز عصرها ويأتي براهن جديد.

ومما سبق يمكن القول أن ذلك التقابل بين الإنفتاح على الآخر أو الإغتراب الذات على نفسها، يشير فتحي التريكي إلى خطاب الهوية والهوية البديلة وهذا الخطاب يشير إلى علاقتنا مع الآخر ضمن ما يسميه "العيش سوياً"، وهذا السياق لا يتحقق إلا في ظل منحيين:

أ- إعادة النظر في منزلة الغير بالنسبة إلينا، مما لا يستلزم الإعتراف بالغير بما يحمله من إقرار بأحقية من هو مختلف عني في أن يحقق ذاتيته ويؤسس ثقافته على النحو الذي يترتبه وليس على نحو ما هو مفروض أو يكره على تقليده واتباعه.²⁸

ب- ضرورة العمل على احترام الفروق مهما كانت طبيعتها ومستواها وحدودها، بحيث لا يمكن أن يؤدي الإقرار بها إلى ترسيخ فكرة التفوق أو التمايز الذي ينجم عنه العنصرية والتصادم. فكلما توفر الاحترام المتبادل بين الأنا والغير مهما كانت الفروق بينهما، فإن ذلك يسمح بالتعايش والحوار في كنف السلم.²⁹ ومن هنا يحاول فتحي التريكي رسم معالم النهضة الفكرية للعالم العربي الإسلامي من خلال سياق هوياتي داخل المعيش اليومي.

4-9 الصراع كشكل من أشكال اليومي :

من الإشكاليات الفاعلة اليوم في العالم الإنساني هي إشكالية الصراع التي أخذت أشكالاً عديدة ومتنوعة منذ وجود الإنسان في العالم، وما لها من علاقات على مستويات عديدة إجتماعية، جيواستراتيجية، وخاصة من الناحية السياسية، ومن هنا بات لزاماً على الإنسان أن يتعايش مع هذا الصراع بشتى الطرق والكيفيات، حتى وإن كانت بعض المجتمعات ليست طرفاً فيه، فعالم الراهن يعيش على وقع الحرب وهو ما أشار إليه فتحي التريكي بإعتبارها شكلاً من أشكال الصراع متى ما وجد الإنسان وشكل روابط إجتماعية أو سياسية داخل العالم.

إذا إتجهنا نحو الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو فهو ينتقد طرح هوبس القائل بأن السياسة هي "فن تحويل الحرب إلى سلام"³⁰ والطرح الخاص بالفيلسوف جون لوك فيقول أنها "فن الحفاظ على السلام ضد الحرب"³¹ من خلال سياقهما إذ يشير "أنهما نقلاً ما هو موجود حقيقة في الحالة الاجتماعية إلى حالة الطبيعة"³² وفي هذا المنحى يبدي جون جاك روسو إلى أن التفكير محاولة للتفكير في الأصل.

مما سبق فإن الطرح الذي يذهب له جون جاك روسو في محاولة للإشارة إلى قطيعة بين الوضع الاجتماعي الموجود وبين حالة الأصل أي حالة الطبيعة، إذ يشير روسو " في الأخير، إذا تحدثنا عن الإحتياج والطمع والظلم وحب السيطرة، نقل الأفكار إلى صفة الطبيعة من المصدر الاجتماعي، وحديثهما عن الإنسان البدائي وينتقدان بالمقابل الإنسان المتمدن"³³ ومن هنا تظهر القطيعة التي أشرنا إليها مع جون جاك روسو بين الطبيعي والاجتماعي.

إذا إتجهنا نحو الميكيفيلية فيدلي بأنه من أجل فهم الإتجاه السياسي المعاصر، لابد من دراسة التاريخ الماضي أو بمعنى آخر التاريخ الأصلي لمادية العالم، ومن هنا فمعرفة الواقع الحاضر له اتصال بقراءة الماضي، ومن هنا يشير إلى أن القراءة المعاصرة للتاريخ لابد لها من البحث في الأصل وخاصة ما يسمى بالأصل الطبيعي، ومن تم الدخول في عمق التاريخ لإمكانية الوصول إلى تنظيم سياسي أصيل، وبهذا محاولة إيجاد ما هو متوار فيما هو تاريخي، وفي هذا السياق دراسة إشارة إلى دراسة التاريخ من الناحية الأركيولوجية، أو بشكل أبعد من ذلك بتوجيه نحو البحث الأنثربولوجي.

ومما سبق فإن الصراع أو التواصل بين الثقافات المختلفة، لا يتحقق إلى من خلال الانفتاح على الآخر، عكس الاتجاه نحو السيطرة والتسلط، فالصراع نتيجة لعدم التعارف بين الثقافات وإن كان بأشكال مختلفة، فالتوجه نحو التعقل، والتواصل مع احترام الاختلاف يؤدي إلى العيش سوياً أو بمعنى آخر العيش في سلام، أو كما يشير فتحي التريكي إلى التأنس.

5-9 فلسفة الفعل واتصالها بالواقع اليومي :

إذا أشرنا إلى ما ذهب إليه المفكر الجزائري محمد شوقي الزين في كتابه الثقافة في الأزمنة العجاف إذ يقول " صناعة الفلسفة هي مقولة انفردت بها العرب، مثلما إنفردت بنعت كل فرع معرفي بمقولة (صناعة)، صناعة الطب، صناعة الشعر"³⁴ أي الصناعة لابد لها من حركية ونشاط وإنتاجية، وداخل هذه الصناعات هناك صناعة متميزة، تتميز بمهمتها الإتصالية بمختلف الصناعات " إن أعلى الصناعات وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة"³⁵ وهذا السياق يشير إليه العديد من الفلاسفة والمفكرين عبر تاريخ التفكير الإنساني، فنجد مع الفيلسوف اليوناني أرسطو أن الفلسفة صناعة، ومع الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز في كتابه مع فيليكس غاتاري المعنون ب : ما الفلسفة، إذ يحدد تعريفاً لها بأنها فن صناعة المفاهيم.

إن البحث في أهمية الصناعة الفلسفية، تتحدد من خلال مشاركة الفلسفة المجتمعات همومهم وآلامهم والإشكاليات التي تسير معيشتهم اليومي أو كما يدلي فتحي التريكي " أن الفلسفة لم تعد تقتصر على دراسة الوجود الإنساني في كنهه فقط بل وأيضا في تظاهراته الفردية والاجتماعية"³⁶ ومن هنا فمهمة الفلسفة هي معالجة المعيش واليومي، وليس البحث فيما هو أنطولوجي وميتافيزيقي فقط، بل معايشة للواقع بشئ تظاهراته وأشكاله.

10- خاتمة :

تتخذ الفلسفة واليومي مكانة مميزة في التفكير الراهن وذلك لاتصالها بمختلف الإشكاليات التي يعايشها الإنسان في الفكر الفلسفي المعاصر، سواء من ناحية المباحث الأساسية للفلسفة الأنطولوجية، الإبيستيمولوجية، الأكسيولوجية، أو من خلال الناحية الاجتماعية والأنثربولوجية، وفي سياق أكثر تفصيلاً معالجة ما يساير حياة الإنسان ويحاكيه، كالمشكلات العلمية، الأخلاقية، الفنية، والبحث عن المعنى الكامن داخل هذه القضايا وإن بدا متكرراً وواضحاً، وفي خضم هذا الطرح محاولة المفكر فتحي التريكي البحث عن الفلسفة واليومي داخل الفكر العربي المعاصر، من خلال ما سماه بفلسفة التنوع والفلسفة الشريدة ومواضيع أخرى تشغل المفكر ليحاول بناء تفكير نقدي ومساءلة للقضايا اليومية والفلسفية داخل الفكر العربي المعاصر، فالواقع لابد له من محاولة جادة لتفكير منفتح أو كما سماه فتحي التريكي بالفلسفة المفتوحة، بعيداً عن التفكير المتعالي أو النسقي، بل ما يعايش الإنسان في يومه محاولاً معالجة قضاياها وهنا تكمن مهمة التفكير الفلسفي في تجديد البحث من أجل الارتقاء والتطور .

11. قائمة المراجع:

- 1 التريكي، فتحي، فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2009، ص21.
- 2 المرجع نفسه، ص57.
- 3 المرجع نفسه، ص60.
- 4 المرجع نفسه، ص61.
- 5 المرجع نفسه، ص68.
- 6 ريكور، بول، الذات عينها آخراً، تر جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص612.
- 7 هوسرل، إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية، تر إسماعيل مصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص448.
- 8 المرجع نفسه، ص449.
- 9 بارة، عبد الغني، الهرمونيطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، دط، ص197.
- 10 التريكي، فتحي، فلسفة الحياة اليومية، المرجع السابق، ص70.
- Lefebvre, Henri, Critique de la vie quotidienne, tome1.paris : L'arche , p28.11
- 12 التريكي، فتحي، فلسفة التنوع، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2009، ص89.
- 13 دو سارتو، ميشال، إبتكار الحياة اليومية فنون الأداء العملي، تر محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2011، ص31.
- 14 كانط، إيمانويل، في التربية وإجابة عن سؤال ما التنوير ؟، تر جوزيف معلوف، دار الرافدين، بغداد، ط1، 2022، ص1.
- 15 المرجع نفسه، ص1.
- 16 مطر، أميرة حلمي، السياسة من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1995، ص117.
- 17 سارتر، جون بول، الوجودية مذهب إنساني، تر عبد المنعم الحنفي، مطبعة الدار المصرية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1964، ص14.
- 18 هادو، بيير، الفلسفة طريقة حياة، التدريبات الروحية من سقراط إلى فوكو، تر عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2019، ص ص 385 386 .

- 19 هيجل، فريدريك، محاضرات في فلسفة التاريخ – العقل في التاريخ - ، تر إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الأول، دار التنوير، بيروت، ط1، 2007، ص120.
- 20 التريكي، فتحي، فلسفة الحياة اليومية، المصدر السابق، ص190.
- 21 المرجع نفسه، ص191.
- 22 المرجع نفسه، ص ص 68 69 .
- 23 مصدق، إساعيل، هوسرل وأزمة الثقافة الأوروبية، مدارات فلاسفة، ع2016، 1، ص11.
- 24 المرجع نفسه، ص 11.
- 25 غيضان، السيد علي، سؤال الاختلاف الفلسفي (رهانات الإبداع في الفكر العربي المعاصر)، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، ط1، 2017، ص131.
- 26 التريكي، فتحي، الفلسفة الشريفة، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، دت، ص 12.
- 27 التريكي، فتحي، الهوية ورهاناتها، تر نور الدين السافي وزهير المديني، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2010، ص9.
- 28 المرجع نفسه، ص13.
- 29 المرجع نفسه، ص13.
- 30 التريكي، فتحي، الفلاسفة والحرب، تع زهير المديني، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015، ص73.
- 31 المرجع نفسه، ص73.
- 32 المرجع نفسه، ص73.
- 33 Rousseau, jean jacques, Discours sur l'origine et les fondements de l'inégalité parmi les hommes, ouvres complètes, NRF, bib, dela pléiade, t 3, p132.
- 34 الزين، محمد شوقي، الثقاف في الأزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص201.
- 35 المرجع نفسه، ص201.
- 36 التريكي، فتحي، فلسفة الحياة اليومية، المرجع سابق، ص13.